

بهجة العيد

10.09.10

الحمد لله الثابت وجوده، العظيم جوده، الكثير موجوده، متجه العالم ومقصوده وربيه ومعبوده، فله صلاة عبده وركوعه وسجوده، وتسيبته وتهليله وتحميده، واستغفاره وتكبيره وتمجيده، وصومه وفطره وحجه وعيده، وعبادته كلها وتوحيده فهو العظيم الأكبر، وكل شيء دونه حقير وأصغر، وهو الغني عما عداه وكل شيءٍ سواه فقير إلى رحمته الواسعة وفضله الأكبر.

نحمده -تعالى- أن جعلنا مسلمين، وهدانا بكتابه المبين، ويسنة سيد المرسلين، إلى خير شريعة وأشرف دين، ونشكره عز وجل صيرنا مؤمنين، وبالخلق قائمين، وعن الباطل مائلين، وسيجزى الله الشاكرين، فهنيئاً لمن شكر، وويل لمن كفر، والله غني عن العالمين، وإليه المصير والمستقر.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الأعياد مواسم أفراح الطائعين، وأيام سرور المتعبدين، فما أعظم فرحة الصائم إذا أفطر، وما أكبر سرور الحاج إذا طاف ونحر ولبي وكبر، وجاء من عرفه وبات بالزدلفة ورمى جمرة العقبة وحلق أو قصر.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المفضل، السيد العظيم المجل. وصلى الله وسلم على صاحب الحوض المورود، والمذكور في إنجيل عيسى، وتوراة موسى، وزبور داوود، على آله وصحبه مصابيح الدجى، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم المزيد.

أما بعد:

أيها المسلمون: إن العيد مظهر من مظاهر هذا الدين العظيم، وشعيرة من شعائره المعظمة، التي تنطوي على حكم عظيمة، ومعان جلييلة، وأسرار بديعة، وليس العيد كما قد يظنه بعض الناس من أنه هو التسيب وترك العمل، والغفلة عن الله، والتكثف من المباحات، والمباهاة باللباس والمآكل والمشارب، بل ربما قد يظن البعض أن العيد معناه فعل ما يبغض الله من سماع الأغاني المحرمة، والاختلاط بين الرجال والنساء وما إلى ذلك من المنكرات..

وليس الأمر كذلك-عباد الله-! إنما المقصود بالعيد شكر الله على تمام العبادة وإتقانها، ولذلك فإن الله لم يشرع للأمة الحمديّة إلا عيدين، وكل عيد جاء بعد الفراغ من أداء ركن من أركان الإسلام، فعيد الفطر جاء بعد إكمال صيام رمضان، وعيد الأضحى بعد الوقوف بعرفة والذي يعد ركن الحج الأعظم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (الحج عرفة) الترمذي. قال ابن رجب -رحمه الله-: "وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته؛ كما قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾". سورة يونس(58).

وليس لنا -عباد الله- في هذه الدنيا إلا أعياد ثلاثة: يوم الجمعة، وهو عيد الأسبوع، وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات، فإن الله -عز وجل- فرض على المؤمنين في كل يوم ليلة خمس صلوات، وأيام الدنيا تدور على سبعة أيام، فكلما دار أسبوع من أيام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم فيه شرع لهم في يوم استكمالهم، وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق، وفيه خلق آدم، وأدخل الجنة، وأخرج منها، وفيه ينتهي أمد الدنيا فتزول، وتقوم الساعة، فالجمعة من الاجتماع على سماع الذكر والموعظة بالصيام.

وفي شهود الجمعة شبه من الحج، وروي: "إنما حج المساكين". وقال سعيد بن المسيب: "شهود الجمعة أحب إليّ من حجة نافلة، والتكبير إليها يقوم مقام الهدي على قدر السيف فأولهم كالمهدي بدنة، ثم بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة".

وشهود الجمعة يوجب تكفير الذنوب إلى الجمعة الأخرى إذا سلم ما بين الجمعيتين من الكبائر؛ كما أن الحج المبرور يكفر ذنوب تلك السنة إلى الحج الأخرى.

وفي الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة) الترمذي. فهذا عيد

الأسبوع، وهو متعلق بإكمال الصلوات المكتوبة، وهي أعظم أركان الإسلام ومبانيه بعد الشهادتين.

أمة الإسلام: أما العيدين اللذان لا يتكرران إلا مرة واحدة في العام؛ فأحدهما: عيد الفطر من صوم رمضان، وهو مترتب على إكمال صيام رمضان، وهو الركن الثالث من أركان الإسلام ومبانيه، فإذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار، فإن صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، وآخره عتق من النار، يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه، فشرع الله - تعالى - لهم عقب إكمالهم لصيامهم عيداً، يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره على ما هداهم له، وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة، وهو يوم الجوائز يستوفي الصائمون فيه أجر صيامهم ويرجعون من عيدهم بالمغفرة.

والعيد الثاني: عيد النحر، وهو أكبر العيدين وأفضلهما، وهو مترتب على إكمال الحج، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام ومبانيه، فإذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم، وإنما يكمل الحج بيوم عرفة، والوقوف فيه بعرفة فإنه ركن الحج الأعظم؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: (الحج عرفة). ويوم عرفة هو يوم العتق من النار، فيعتق الله فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من أهل الأمصار من المسلمين، فلذلك صار اليوم الذي يليه عيداً لجميع المسلمين في جميع أمصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة، وإنما لم يشترك المسلمون كلهم في الحج كل عام رحمة من الله وتخفيفاً على عباده فإنه جعل الحج فريضة العمر لا فريضة عام، وإنما هو في كل عام فرض كفاية بخلاف الصيام فإنه فريضة كل عام على كل مسلم.

فإذا كمل يوم عرفة وأعتق الله عباده المؤمنين من النار اشترك المسلمون كلهم في العيد عقب ذلك، وشرع للجميع التقرب الموسم يرمون الجمر، فيسرعون في التحلل من إحرامهم بالحج، ويقضون تفتهم ويوفون نذورهم، ويقربون قرايبهم من الهدايا ثم يطوفون بالبيت العتيق، وأهل الأمصار يجتمعون على ذكر الله وتكبيره والصلاة له، ثم ينسكون عقب ذلك نسكهم ويقربون قرايبهم والنحر الذي يجتمع في عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة الذي في عيد الفطر، ولهذا أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل شكره لربه على إعطائه الكوثر أن يصلي لربه وينحر وقيل له: {قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} سورة الأنعام(162).

أيها الناس: إن العيد الحقيقي لمن أطاع الله، والحسرة لمن عصاه!، العيد لمن أحسن في فحاره الصيام، وأحيا ليله بالقيام، العيد لمن سهر على تلاوة القرآن، لا على الأغاني والألحان، قال - تعالى -: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} سورة يونس(58).

قال بعض السلف: "ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعامل يفرح بمولاه".

وقال الحسن: "كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد، وكل يوم يقطع المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد".

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، والصلاة والسلام على النعمة المسداة، والرحمة المهداة نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

أيها المسلمون: إن العيد في دين الإسلام له مفهومه الخاص، وله معناه الذي يخصه دون سائر الأديان، ودون سائر الملل والنحل.

إن العيد في الإسلام -أيها الإخوة- غبطة في الدين، وطاعة لله، وبهجة في الدنيا والحياة، ومظهر القوة والإخاء، إن العيد في الإسلام فرحة بانتصار الإرادة الخيرة على الأهواء والشهوات.

إن العيد في الإسلام، خلاص من إغواءات شياطين الإنس والجن، والرضا بطاعة المولى، والوعد الكريم بالفردوس، والنجاة من النار.

إن العيد في الإسلام لا كما يتصوره البعض انطلاقاً وراء الشهوات، وحلاً لزام الأخلاق وتفسخاً وعرضات هنا وهناك.

إن العيد في الإسلام، ليس فيه ترك للواجبات، ولا إتيان للمنكرات.

في الناس -أيها الناس- من تطغى عليه فرحة العيد، فتستبد بمشاعره ووجدانه، لدرجة تنسيه واجب الشكر والاعتراف بالنعيم، وتدفعه إلى الزهو بالجديد، والإعجاب بالنفس حتى يبلغ درجة المخيلة والتباهي، والكبر والتعالي.

وما علم هذا أن العيد قد يأتي على أناس قد ذلوا بعد عز، فتهيج في نفوسهم الأشجان، وتتحرك في صدورهم كثير من الأحزان.

قد يأتي العيد على أناس ذاقوا من البؤس ألواناً بعد رغد العيش، قد يأتي العيد على أناس تجرعوا من العلقم كؤوساً بعد وفرة النعيم، فاستبدلوا الفرحة بالبكاء وحل محل الههجة، الأنين والعناء.

فاتقوا الله -أيها المسلمون-، اتقوا الله -أيها المسلمون- في عيدكم، لا تجعلوه أيام معصية لله، لا تتركوا فيه الواجبات، ولا تتساهلوا في المنكرات.

لا يكن نتيجة عيدكم غضب ربكم عليكم، فإن غضب الله شديد، وعقوبة الله -عز وجل-، لا يتحملها الضعفاء أمثالنا.

اتقوا الله -أيها المسلمون- في عيدكم، واجعلوه عيد عبادة لله، عيد طاعة، عيد توبة صادقة، عيداً ترتفع فيه أخلاق الأمة.

عيداً تنقل فيه ميزان حسناتنا، عيداً نكفر فيه عن خطايا سابقة، ارتكبتها جوارحنا، قال الله -تعالى-: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} سورة الزمر (53). وقال سبحانه: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ} سورة طه (82). وقال عز وجل: {فَبَدَّلَ كَيْفَرًا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} سورة يونس (58).

أيها المسلمون: كذلك أيضاً يجب أن لا تُنسبنا فرحة العيد أن هناك آلاماً وجروحاً في الأمة لم تلتئم بعد، هناك من أبناء الأمة الإسلامية أناس أبرياء مظلومون، سوف يدخل عليهم العيد، وما زالوا تحت وطأة الظلم والقهر والعدوان.

كم من يتيم يبحث عن عطف الأبوة الحانية، ويتلمس حنان الأم، وأبوه قد ذهب وأمه لا يعلم مصيرها إلا الله.

سوف يحل العيد بأمة الإسلام، وهناك من يرنو إلى من يمسخ رأسه، ويخفف يؤسه. جاءنا العيد، وهناك الألوف من الأراذل اللاتي توالى عليها الخن فقدت زوجها، تذكرت بالعيد عزاً قد مضى تحت كنف زوج عطوف..

وفوق كل هذا -أيها المسلمون- يقدم العيد، وما زالت هناك أراضٍ للمسلمين مغصوبة، هنا وهناك

فأي عيد هذا الذي نفرح فيه، وسهام الشر وسوم العدو يفتك في أجسامنا من كل ناحية، فحق على كل مسلم، حق على كل من في قلبه شعلة إيمان ما زالت متوقدة، أن يتذكر كل هذا وهو يستقبل عيده.

حق على كل مسلم أن يتذكر هؤلاء، فيرعى البيتمى ويواسي الأيتمى، ويرحم أعزة قوم قد ذلوا. كم هو جميل أن تظهر أعياد الأمة، بمظهر الساعي لأحوالها وقضاياها. فلا تحول بهجتها بالعيد دون الشعور بمصائبها التي يريز تحتها فنام من أبنائها. حيث يجب أن يطغى الشعور بالإخاء قوياً، فلا تنس أفغانستان، ولا فلسطين، -ولا العراق- ولا السودان- ولا الشيشان، وأراضٍ للمسلمين أخرى منكوبة بمجاهديها وشهادتها، بأيتامها وأراملها، بأطفالها وأسرانها.

كم هو جميل أن نتذكر ونحن نستقبل العيد أن هناك الألوف من الأسر المنكوبة، من يقدم يد الاستجداء والمساعدة، بلقمة طعام، أو كساء لباس، أو خيمة غطاء.

وفي المسلمين أغنياء وموسرون، ولكن مع الأسف، استغل البعض من أعداء الاسلام هذه الحاجة الملحة عندهم، لسد جوعتهم، فقاموا بإطعامهم وكسوتهم . لتمرير أغراضهم

لقد نشط الكثيرون لأغراض شتى وكنفوا جهودهم في أوساط هذه الأسر الفقيرة، والمسلمون وأغنياء المسلمين في حالة يرثى لها، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

وكم هو جميل كذلك أن يقارن الاستعداد للعيد، لفرحته وبهجته، استعداداً لتفريغ كربة، وملاطفة يتيم، ومواساة ثكلى، يقارنه تفتيش عن أصحاب الحوائج، فإن لم تستطع خيلاً ولا مالا، فأسعفهم بكلمة طيبة وابتسامه حانية، ولفتة طاهرة من قلب مؤمن.

إنك حين تأسو جراح إخوانك إنما تأسو جراح نفسك، وحين تسد حاجة جيرانك إنما تسد حاجة نفسك، قال تعالى: **{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ}** سورة البقرة (272). وقال سبحانه: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}** سورة فصلت (46). أسأل الله أن نكون بهذا المستوى ونحن نستقبل عيدنا.

ومع كل هذه المآسي التي تحل بالمسلمين فإنه لا مانع من أن نفرح فرحاً شرعياً بما من الله علينا من النعم، ونشكره فإن بالشكر تزيد النعم، ولنحذر من الغفلة، وارتكاب المنكرات والآثام، وإضاعة الأوقات في اللهو الحرم واللعب الآثم، فقد نظر بعض العلماء إلى الناس يوم الفطر وما هم عليه من الغفلة، وانشغالهم بما هم فيه من الطعام والشراب واللباس فقال: "لئن كان هؤلاء أنبياءهم الله -عز وجل- أنه قد تقبل منهم صيامهم وقيامهم، فقد كان ينبغي لهم أن يكونوا أصبحوا مشاغبل بأداء الشكر، ولئن كانوا يخافون أنه لم يقبل منهم، كان ينبغي لهم أن يكونوا أشغل وأشغل!!".

اللهم أعد العيد على الأمة الإسلامية، وقد تحقق لها ما تصبوا إليه من النصر والعزة والرفعة.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، واخذل الكفرة والملحدن.

ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.